صورة المقاومة في شعر مفدي زكرياء

The image of resistance in the poetry of Moufdi Zakaria

د. الحاج جفدم

جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف(الجزائر)

djourdemhadj@gmail.com

تاريخ النشر: 2019/04/01

تاريخ القبول: 2019/03/17

تاريخ الإرسال: 2019/02/15

الملخص:

أضحت الثورة الجزائرية الكبرى (1954-1962) فضاء رحبا للإبداع، مما مكن الشعراء العرب عامة، ومفدي زكرياء خاصة من التعبير عن نضالهم في هذه الثورة المباركة، إذ أصبح الشعر نتاجا حيا لواقع معين، وانعكاسا صادقا لقضايا الوطن يتفاعل بعمق مع هموم وأفراح الجماهير، مبرزين إسهاماتهم الفعالة في تحريك الفعل الثوري، فجاءت قرائهم بإبداع صاف يحمل خالص تجاربهم، ويعبر عن عمق مشاعرهم

وعليه، فإن مفدي زكرياء يعد من أكثر الشعراء العرب في العصر الحديث إبداعا لهذا اللون الشعري في ديوانه اللهب المقدس، الذي رصعه بعديد القصائد الثورية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: اقرأ كتابك، تعطلت لغة الكلام، لا عز حتى تستقل الجزائر... وغيرها حيث أبان فيه عن نضاله وثورته ضد المستدمر، والتغني بالانتصارات الباهرة التي حققها الشعب الجزائري.

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية ; الشعر العربي ; مفدي زكريا ; اللهب المقدس ; الشعر الثوري

Abstract :

The great Algerian revolution (1954-1962) became a great space for creativity, enabling the Arab poets in general and especially mofdi zakaria to express their struggle in this blessed revolution. Poetry became a living product of a certain reality and a true reflection of the country's issues. And to express their deep feelings.

Therefore, Mofdi Zakaria is considered one of the most modern Arab poets in the modern era. He invented this poetic color in his Holy Flame, which he composed with many revolutionary poems. To name but a few: Read Your book, the language of speech has been disrupted, not the glory of Algeria, and others where he expressed his struggle and revolution against the destitute, and singing the remarkable victories achieved by the Algerian people.

Keywords : Algerian revolution ; Arab poets ; Mofdi Zakaria ; Holy Flame ; revolutionary poems

توطئة:

يري ابراهيم رماني " أن المكان الذي يشكله الخيال وبينيه في اللغة على نحو يتجاوز حدود الواقع الفعلي...

ليس المكان الفني أبعادا هندسية وحسية خارجية، إنما صورة جمالية، تبدعها الذات وتضفي عليها من ذاكرتها

الحضارية، التاريخية أبعادا لانهائية"¹.

يبدو أن الباحث يتجاوز القيمة الطبيعية للمكان الفعلي، ليجسد المكان الشعري الذي يحول التجربة الذاتية على نص إبداعي، تبرز فيه العناصر الجمالية من صورة وإيقاع ودلالة، تعبيرا عن الحالة النفسية التي اختزنت في ذاكرة الشاعر بفعل المقومة، الحدث ويرى الأخضر بركة " أن المكان الشعري ينتقل فيه العالم من الفضاء اللامتناهي "الخارج" إلى الفضاء المتناهي "الداخل" والذي هو النص، انتقالا أساسه الارتياح والتحويل، ولذا فإن بنية المكان -الشعر، هي نموذج لبنية مكان العالم من جهة وهي - في الآن ذاته- شيء يشير على ما يتجاوز العالم -الفيزيائي- من جهة أخرى..."².

إن الباحث هنا، يبحث عن الآليات التي تحكم النص الشعري الذي يستمد شعريته، مشيرا إلى علاقة الخارج بالداخل، في إشارة إلى العالم الحسي الفيزيائي وأثره في بناء النص الشعري.

وعليه فإن صورة المكان ليست مرتبطة بعصرنا الحديث، بل تعود إلى الشعراء العرب القدامى الذين وقفوا طويلا على الأطلال، في إشارة على فقدان الحبيب والديار، مع اختلاف بسيط في طبيعة الصورة، إذ يعتبر المكان -في عصرنا الحاضر- مجالا خصبا لإبراز صورة الصراع بين "الأنا" و "الأخر" في ظل تمادي الإستعمار في عملية السطو على الأمكنة الجزائرية.

أما أحمد حيدوش فيقول " المكان هو الذي ثار على الظلم و الطغيان قبل الإنسان وأنه هو الذي مارس الفعل، والواقع أن الإنسان هو الذي ثار على الوضع وكان المكان حاميا له، بيد أن الشاعر لم يفرق بين المكان والإنسان في أغلب الأحيان... فالمكان إنسان والإنسان مكان، ولذلك فهجاء المستعمر يتم م خل المكان ومدح أبطال لثورة يتم عبره أيضا"³.

وبعد، فإن الحدث الثوري الذي جسده الشعب الجزائري على عهد الإستعمار الفرنسي، كان استجابة للمكان الذي ظل روحا من الزمن يئن تحت وطأة المستعمر، ليصبح ملاذا آمينا للمقاتلين في مواصلة المقاومة، حتى تأخذ الجزائر استقلالها.

1-صورة الجبل:

إن المتتبع لتاريخ الجزائر يجده يعبر عن ملحمة شعب ظل يناضل من أجل بقاء كيانه الوطني بين الأمم، إذ انتقلت مقاومته لغاصبي الحق من المقاومة السياسية إلى المقاومة المسلحة، فالثورة التحريرية التي اكتملت بفضلها التجربة الشعرية لدى شعرائنا، تتخذ من الجبل المكان الذي أفرغ فيه الشعراء كل التدايعات النفسية الكامنة في أعماق الذات الشاعرة، مبرزين صوره⁴.

و حين تتأمل تاريخ الشعر العربي القديم نجد "الجبل"، يشكل مكانا ثوريا مقاوما، كيف لا وهو الذي أوى الخارجين عن القانون قانون القبيلة أو الدولة أو الاحتلال، للصعاليك والمعارضين وهو ملائم لحاجات الوطن في الحرية و الشموخ والعزة، ومناسب لمتطلبات الثورة في الحركة والامتداد.⁵

ومن هذا المنطلق يرى مصطفى بيطام "أن نظرة الشاعر إلى الجبل لم تكن مجرد نظرة أو وصفا من أجل الوصف بقدر ما هي نظرة واعية، لما يرمز له الجبل الذي كثيرا ما وقف عند أسراره العديد من الشعراء عبر العصور الأدبية العربية، وما وصف "الجبل" لابن خفاجة، الشاعر الأندلسي بالصورة الفنية المعبرة التي لفتت انتباه الدارسين والنقاد إلا دليل على وعي الشعراء بدور الجبل في بعث الشموخ والثبات".⁶

لقد رأى شعراؤنا في "الجبل" المكان الطبيعي "للأنا" وامتدادا ماديا لثورة الشعب في مقاومته "الآخر" ليكون مكانا وطنيا تتراى فيه الدلالات الإيحائية كالفداء والخلاص وبعث الأمل في نفوس الثوار، فتعاطفوا معه ليؤلفوا لوحة فنية من أعالي الأوراس وجرجرا.

من هذه الزاوية إذن، سنقوم بجولة تحليلية لصورة "الجبل" في شعر مفدي زكرياء، إبان ثورة التحرير أو قبلها، ولعل أول صورة للجبل "تلك التي يحملها نشيد "من جبالنا"، والتي يقر من خلالها الشاعر أن "الجبال" منبر لصوت الأحرار، ونداء للشعب من أجل الاستقلال، وكشف عن التضحية، إذ يعبر بها عن الدلالات الإيحائية لبيان رمز التحدي و الصمود.

وفي القصيدة الموسومة بـ "اقرأ كتابك"، يؤكد مفدي زكرياء على شهادة "الجبال" على أفعال المستدمر الدنيئة، مبرزاً سخريتها من الأعداء الذين طمسوا الحقائق بالادعاءات الباطلة.
يقول الشاعر:⁷

هذي الجبال الشاهقات شواهد سخرت بمن مسح الحقائق وادعى

ما زال الشاعر يسترسل في صنع صور "الجبل" ليميز دوره في الإجابة عن تساؤلات الإنسان، وهو يعج غضبا ليكون وبالا على رؤوس المستدمر، وشاهد على الأفعال العظيمة التي ما فتئ الثوار يصنعون أطوارها.
يقول مفدي زكرياء:⁸

سل جرجرا تنبتك عن غضابتها واستفت شيلا لحظة وشلعلعا *

واخشع بـ "وارشنيش" إن تراها ما انفك للجند المعطر مصرعا **

لقد كانت الجبال، إبان ثورة التحرير المسلحة تلعب دورا استراتيجيا في إيواء جنود جيش التحرير، وفي الوقت نفسه مقابر للجند المعطر، " وربما لا يكتفي الشاعر بالتحويم العائم على الجبال، أو الصورة الغائمة تلتقط من الجو، وإنما يتبعها بأسمائها... ويستوحي الأبعاد البطولية من الأسماء ذاتها، ومن تركيبها الذي يوحى بالعظمة والشموخ مثل الشلعلع و" جرجرا" و" شيليا" ⁹.

إن قدرة الشاعر على حشد جملة من الدلالات الإيحائية لصورة "الجبل"، وإبراز أبعاده النفسية والثورية والتاريخية والطبيعية والجمالية، جعلته يضع هذه اللوحة الشعرية الرائعة التي أبرم فيها العقد بين الأرض - مجال للمكان الثائر- والسماء، في إشارة إلى صفتي الإتحاد والتضامن.

و ما الدماء الطاهرة التي تخصبت بها الأرض، إلا بمثابة الدافع الذي جعل "الأنا" يبتث قراره لإلحاق الهزيمة بالآخر، " سلسلة الأطلس الجبلية أصبحت تبث قرارها فينقاد إليه الحلف الأطلسي الذي لطالما ألقى الرعب والذعر في نفوس المستضعفين، وما انقياد الحلف الأطلسي وخضوعه إلا نتيجة لتحالف الصلب والولاء المتين فيما بين السموات والأرض ¹⁰."

يقول مفدي زكرياء: ¹¹

أرض الجزائر والسماء تحالفا فاخطط حلقهما النجيع الأحمر !
والأطلس الجبار بث قراره قائدك منه الأطلس المتجبر

وعليه، "فإن صورة تحالف الأرض والسماء تشخيص أدبي راق وتجسيد فني عال يعكس الإتحاد الذي كان سائدا والتعاون الذي كان قيمة لا يمكن الاستغناء عنها، وإن كانت الأرض والسماء متحالفتين فكيف لا يتحالف أفراد الشعب فيما بينهم، تحالف أضفى عليه الشاعر روحا من روح شعبه..." ¹².

و "الجبل" عند مفدي زكرياء، مكان يحمي المجاهدين، فتراه يلعب دورا في المقاومة " وإذا أصدر الأطلس قراره، وقام بدوره الجبار في الثورة حيث اعتصم به المجاهدون وتمنعوا في شواهقه يصبون منها على العدو ونيرانا وجحيما ويصيبون ولا يصابون، فإن السبب هو أن يدي الله نفسه هما اللتان تقدحان الزناد في أيدي الثوار" ¹³.

يقول مفدي: ¹⁴

وطني أنت بسمة الرب في الأر ض ومرآة حسنه المتواتر

وعلى الأطلس المرید يدها تقدحان الزناد في كف ثائر

وقد كان الثوار الجزائريون مندفعين نحو المنيا، ضارين أروع الأمثلة في التضحية والفداء في الجبال الشامخات التي شهدت على بطولة المجاهدين، وهم يرفعون الأعلام الوطنية على قممها.

يقول مفدي زكرياء:¹⁵

وانفعنا مثل الكواسر نرتا د المنيا وملتقي البارودا

من جبال رهيبة شامخات قد رفعنا على ذراها البنودا

إذن، لا فرق بين "الجبال" و"الإنسان" عند مفدي زكرياء، فكلامها أعلن منذ الوهلة الأولى عن رفضه المطلق للآخر، ومقاومته لكل أشكال التسلط على الذات الجزائرية، من هنا جاءت شعيرة المكان عنده تنبض بقوة المعنى وجمال المبنى، وتعد مشاركة في المعركة إلى جانب الرشاش، وإن كان اهتمامه بجانب -المضمون- حتى يفي شعره بغرضه في ساحة القتال، وذلك على حساب الجانب الفني.

2-صورة السجن:

لقد جن الاستعمار الفرنسي، لما رأى في ثورة الفاتح من نوفمبر 1954، بأنها كالسيل الجارف الذي سيأتي عليه لإنهاء وجوده على أرض الجزائر كقوة استدمارية، فسارع إلى تطبيق سياسة القمع والإرهاب ضد المخلصين، وتسليط حرب إبادة حقيقية، بدأها بتبرير القرى وحرق الغابات وإلقاء القنابل على كل حي يتحرك، لينتهي به المقام لإقام السجن، سعياً لقتل روح المقاومة في الإنسان الجزائري¹⁶.

وفي السياق ذاته يرى الناقد عبد الملك مرتاض في المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة، أن السن في ذاكرة الجزائريين الجماعية، "هو ذلك المكان المظلم الذي يودع في عيابه خيرة المناضلين الجزائريين"¹⁷.

لقد أثبتت سنوات الجمر التي قادها الثوار أثناء ثورة التحرير، أن السجن قد تحولت إلى مدارس يتبادلون فيها السجناء الدروس لخوض غمار الثورة، وليس أماكن للحد من نشاطات الثوار، كما زعمت سلطات الإحتلال.

يقول محمد قنانش عن السجن، بأنها مدارس يتلقى فيها الثوار دروس الحياة التطبيقية توقفك على أسرارها الحقة التي لا تدرك إلا بعد التجارب العديدة... وأن أكبر درس يتلقاه المرء في حياته هو درس يتولى بنفسه ويجني ثمرته بيده، لهذا كان لهذه المدرسة شأن عظيم...¹⁸.

يبدو، أن تجربة السجون أكسبت الثوار –الذين يتطلعون إلى غد مشرق- شحنة مضادة، لكل أشكال التعذيب الطويلة، بأن كافة أشكال التعذيب أعجز من أن تقتل إرادة المناضل أو تكسرهما، إن الانهيار لا يأتي من الجسد لكنه يأتي من ثغرة في نفس الإنسان او عقله..."¹⁹.

وإذا حق لنا أن ننتشل من أفواه الرجال كل المعاني التي قيلت عن تلك المساحة المربعة أو المستطيلة "السجن"، فإننا سنتلقفها من شفتي المناضل الكبير مفدي زكرياء "... أسمع بالسجن فأنقبض وتضيق على أنفاسي، فلما من الله علي بنعمة دخول السجن، وجدت في أعماقه ما كنت أجهله، ورأيت بين طياته ظلامه الحالك كثيرا من أمانى الضائعة التي كنت أفتش عنها في غير السجن..."²⁰.

وإذا كان "الجبل" –كما رأينا سابقا- مجالا طبيعيا "للأنا"، حيث كان يستمد قيمته من قيمة الفعل الذي كان يمارس فيه، لأنه تحققت عبره رغبات مكبوتة في الإنسان الجزائري، التي لم يكن بالإمكان تحقيقها عبر أماكن أخرى، وظهرت فيه للعيان تلك الممارسات الدنيئة التي أقبل المستدمرون على اقترافها في حق الشعب الجزائري.

فإن "السجن" على أرض الواقع مكان اصطناعي "للآخر" المستدمر الفرنسي، بحكم أنه وسيلة من وسائل القهر التي ابتكرها العدو، فحولها إلى " زنانات ومقابر ظل يمارس فيها مالا يتصوره العقل من ألوان العذاب الجسدي والنفسي والتقتيل البشع ضد أحرار الحرار الذين رفضوا سياسة القهر والتسلط والعبودية"²¹.

إن المعاناة التي لحقت الشاعر مفدي زكرياء في السجون جعلته ينفرد عن غيره من الشعراء –في هذه المرحلة- بتجربة السجن، حيث قضى سبع سنوات متراوحة على خمس مرات ما بين 1937-1959²²، فتحول عنده من رمز "للآخر" إلى رمز "للأنا"، ليصبح ميدانا للصمود والتحدي، "كان السجن في تاريخ الثورة الجزائرية ميدانا آخر من ميادين المقاومة والرفض"²³. ويبدو أن "السجن" مرآة شعرية، تعكس وبصدق ذلك الصراع التواصل بين "الأنا" و"الآخر" داخل أربعة جدران، يغدو فيها المكان السجن مرادفا للإنسان المحتل، ما يتولد عنه علاقة تنافرية بين النزلاء وجلاذيتهم، وذلك في حيز مغلق مادي، لكنه مفتوح تاريخيا على آفاق رحبة من الخيال والجمال²⁴.

لقد شد انتباهي –وأنا أتصفح الشعر الجزائري الحديث- نقطة في غاية الأهمية تتمثل في إجماع الشعراء الجزائريين عن تصوير المقاومة الوطنية للغزاة في السجون إلا النزر اليسير من القصائد، واندفاعهم لتصويرها في الجبال الشاهقات، هذا إذا استثنينا رأي الشاعر مفدي زكرياء الذي كان إبداعه وليد السجون والمعتقلات

و الأمر، ها هنا يرجع في جوهره، إلى الخلق الإبداعي المتعلق بالسجون يحتاج إلى المعاناة خاصة ورؤية داخلية تستوجب من الشاعر أن يعيش التجربة في سياق داخلي وليس خارجي، والشاعر مفدي زكرياء من الشعراء الذين يتبوأون الريادة في هذا المجال لما لقيه من عتب وإرهاب نفسي وجسدي.

وركحا على هذا التأسيس، فإننا سنحاول في هذه المعالجة الوقوف عند بعض المقطوعات الشعرية، ولعل القصيدة التي سنأتي عليها بالدراسة، تلك الموسومة ب " نشيد بربروس " يقول الشاعر²⁵:

ياليل خيم...واعصفي يا رياح

يا أفق دمدم...واقصفي يا رعود

يا سجن ازخر...بجنود الكفاح

فأنت ياسجن...طريق الخلود...!

أنت محراب الضحايا

في حناياك أسود

أنت... أنت... أنت... يا لبربروس...

يبدو أنّ النشيد يرمز إلى معنى المواجهة والتّصدي لقوى الظلم و الطغيان، وانتشال الوطن من قبضة الاستعمار، وذلك في العبارتين، " اعصفي يا رياح واقصفي يا رعود "، وفيه أظهر بأنه خير يحمل غلى الخلود ومحراب للضحايا، لقد صار مكانا مقدسيًا، لم يعد السجن عند مفدي زكرياء ذلك الإطار الذي أحكم العدو صنعه، ليضع للذات الجزائرية الموت والدمار والخراب والكآبة، بل صار من الامكنة الأكثر تعبيراً عن الإنسان الجزائري بحتمية الإنتصار على المستدمر²⁶، ولهذا فالشاعر صورته على أنه مكان حقيقي في مواجهة بين "الأنا" و "الأخر"، حتى غدا رمزا للمجد والفداء، ومصنعا للبطولة والشهادة. يقول مفدي²⁷:

يامصنع المجد، ورمز الفدا يا...مهبط الوحي لشعر البقا

يا معقل الأبطال و الشهداء يا منتدى الأحرار والملتقى

يوم قمنا ورفعنا في السموات البنود

أنت... أنت... أنت... يا لبربروس...

يعد السجن مكانا تنطلق منه دلالات سلبية²⁸ كالحزن والأسى والعذاب والتأوه والأنين* إلا أنه عند الشاعر مفدي زكرياء في القصيدة الموسومة بـ"بنت الجزائر" مكان يقاومه في تحدٍ وصمود، ويهزء بالقائمين عليه، مصورا فيه أشكال التعذيب والترهيب التي لم تزد الأبطال إلا تكتما لستر الثورة، يقول²⁹:

سيان عندي مفتوح ومنغلق	يا سجن بابك أم شدت به الحلق
أم السياط بها الجلاذ يلهبني	أم خازن النار يكويني فأصطفق
والحوض حوض وإن شتى منابعه	ألقى إلى القعر أم أسقى فأنشرق

تكلم بعض ملامح صورة السجن كما تراءت أمام عيني الشاعر مفدي زكريا ونقلها إلينا بأدواته الفنية ليعثر على المكان المشترك الذي ظل يصنع صراع "الأنا" مع "الآخر" بين الجدران من منظار واقعي، وفي مستطيل من الورق من منظار خيالي كان الدور فيه لشعرية اللغة والمعاني المجازية.

3- صورة المدينة:

يبدو أن الذات الوطنية قد مرت بمراحل تاريخية مؤلمة عبر عشرات السنين وذلك ما جعل تجربتها ثرية بأحداث ومواقف قد لا يصدقها عقل، كما أن علاقتنا مع "الآخر" كانت تكتسي طابعا مأساوية والقهر والظلم والغبن داخل المكان المسلوب "المدينة"، وكل ذلك طبع سلوكياتنا وأخلاقنا بطابع متميز، كما سكب كل ذلك على إبداعاتنا الفنية عامة والأدبية خاصة ملامح فنية وأسلوبية يجب الوقوف عندها³⁰

من هذا المنظور إذن، نود أن نكتشف "صورة المكان" داخل المتن الشعري عند مفدي زكريا، للوقوف عند "شعرية المكان"، لمعرفة ملامحها وأبعادها، لكن هل يتوفر الشعر الوطني المقاوم عنده على مادة كافية، لمعالجة "صورة المدينة"، وهي تقاوم "الآخر" في جغرافية أحم قبضتها؟ أم للمدينة خصوصيات تختلف إختلافا شاسعا عن "الجبل" مكانا "للأنا" دون غيره.

ويرى النقاد أن "شعرية المدينة" هي امتداد "لشعرية المكان" الذي يتشكل من عنصري الخيال واللغة، على نحو يتجاوز فيه المبدع المكان الواقعي يبدو أن الشعر الوطني الثوري، قد انتزع لنفسه سمة الإنتماء إلى المكان بأبعاده الحاضرة التي تتخذ من الواقع التاريخي الحضاري مجالا لحضور الماضي التليد وتجاوزا للحاضر المأساوي والغبن الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، على نحو يتخذ فيه المكان شخصية زمانية ليصبح هذا النظر الزماني إلى المكان متصل بإحساس ضمني بالمكان الهارب الذي يفلت كما يفلت الزمان³¹

ونعتقد أن شعراء الثورة العربية في الجزائر، كانوا حينما يأتون موضوع "المدينة"، فإنهم يصفونها ويكتبون عنها بإحساس خارجي، بشعور الواصف لا الفاعل، فهم يصفون مدينة موجودة لم يسهموا في صنعها، ولم تبلغ درجة التجربة الشاملة³².

من هنا تأخذ صورة "المدينة" عند مفدي زكرياء مجالا هاما في شعره، إذ يعيش معها لحظات الاغتراب والغوص في ثنايا الماضي لوصف مرابع الصبا، وأيام الشباب التي قضاها مع الأهل والأصدقاء كما هو الشأن في القصيدة الموسومة بـ "فلا عز حتى تستقيل الجزائر" مجسدا فيها الجانب العمراني، ضمن وصف خارجي سطحي، الهدف منه الكشف عن المكان المغتصب، ودعوتها إلى الثورة. يقول الشاعر³³:

جزائر مهما باعد الحطب بيننا	تباكرني النجوى وتهفو بي الذكرى
حنيني إلى "القصباء"، هاج مدامعي	وشوقي إلى "البلكور" أفقدني الصبرا
وفي حي "باب الواد" ماضي صبابتي	تركت "باب الواد" من كبدي شطرا
وفي القبة الفيحاء عش خواطري	تركت بها لما أحاطوا بنا وكرا

يبدو أن النص مضمونا ينهض على "مواقع الذكريات في طول الجزائر وعرضها وينتشي بها وقد أصبحت مسرحا، يطوق به طوفان المجنون على مرابع ليلى، ويقف بك على الأحياء البارزة في عاصمة الجزائر، ويطيل الموقع في "القبة" مقر سكناه³⁴، وتقوم بنية القصيدة على جملة من العناصر المتألفة، والبداية فيها بالإشارة إلى ذكرى أول نوفمبر التي أسرع إلى تباعره، ثم الولوج إلى بث حنينه الجارف وتسوقه إلى شوارع "المدينة" فالعودة إلى أيام الشباب.

وليس بعيدا عن أجواء القصيدة التي طبعت بطابع وصف الجانب العمراني فيها، ها هو ينتقل في القصيدة ذاتها إلى الاستفسار عن الأشياء التي يتألف منها الوسط الذي كان جزءا لا يتجزأ من كيانه وفي الاستفسار يريد معرفة، هل أن مكونات الوسط ما زالت كما كانت، أم أن آلة الاستدمار قد أزلتها؟ يقول

ألا خبرني.. هل منارك لم يزل	يشع على دربي، فيغمره بشرا؟!؟
وهل لم تزل في الحقل، سنبلتي التي	غرست؟؟ وهل في الحقل زنبقتي الحمراء
وهل لم يزل فيها دجاجي وقطتي	وكلي توتو رابضا يشبه النمرا
ومكتبتي والشعر والغرفة التي	أحاط بنا (كوهين) في جوفها ظهرا

يستمر الوجود لتستمر المعاناة في أعماق الشاعر الغريب عن المكان الغارق في ديمومة الصراع بين "الأنا" و"الآخر" إنه الاستفسار عن مدينة "سيرتا" ذات البعد التاريخي الأصيل، والمناظر الطبيعية الجميلة، لينتقل الاستفسار عن جبل "الوحش" مستفسرا عن حاله، إن مازال مبتسم الثغر، أم أن يد الاستدمار امتدت إليه، فحولت اخضراره إلى يابس.

نستنتج مما سبق، أن المكان بأبعاده الثلاثة: الجبل، السجن، المدينة، قد لعب دورا في رفضه المطلق للآخر، ومقاومته لكل أشكال التسلط على الذات الجزائرية، فجاءت شعريته تنبض بالمعنى وجمال المبنى، حيث تجلت تلك الصور أمام الشاعر فنقلها إلينا بأدواته الفنية،

هوامش البحث

¹ إبراهيم رماني: المدينة في الشعر العربي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، المقدمة، ص أ.

² الأخضر بركة: الريف في الشعر العربي الحديث، دار الغرب، وهران، 2002، ص 18.

³ أحمد حديوش: المكان ودلالته في الشعر الجزائري 1954-196، ص 110.

⁴ م، س، ص 111.

⁵ ينظر: مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 106.

⁶ م، س، ص 108.

⁷ مفدي زكرياء: اللهب المقدس، موفم للنشر والتوزيع، 2000، ص 65.

⁸ م، س، ص 66.

* جرجرا: سلسلة جبال شاهقة ببلاد "القبائل الكبرى" من مجموعة الأطلس الجبار، شيليا: أعلى جبل بسلسلة الأطلس الممتد على الأوراس، سجل فيه المجاهدون أنصع صفحات الكفاح والجهاد.

** "وارشنيس": جبل بالجممة الغربية من سلسلة الأطلس، الجيش المعطر صفة أطلقها الشاعر على الجيش الفرنسي، لما رأى فيه من الأنوثة.

⁹ صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 240.

¹⁰ نور الدين صبار: موضوعة الأرض في الشعر الجزائري الحديث، في مجلة كلية الآداب، تلمسان، ع ا، سبتمبر، 2000، ص 27.

¹¹ مفدي زكرياء: م، م، س، ص 134.

¹² نور الدين صبار: العدد نفسه.

¹³ يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكرياء، ط 1، دار البعث، قسنطينة، 1987، ص 150.

¹⁴ م، س، ص 150.

¹⁵ مفدي زكرياء: م، م، س، ص 12.

¹⁶ ينظر: مصطفى بيطام: م، م، س، ص 149.

¹⁷ عبد الملك مرتاض: المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص 53.

¹⁸ محمد قنانش، حزب الشعب الجزائري، دار الحدائث للطباعة والنشر، ط 1، 1985، ص 252، 253.

- ¹⁹ نزيه أبو نضال: أدب السجون، دار الحدائث للطباعة والنشر، ط1، 1981، ص 71.
- ²⁰ إبراهيم رماني: م، م، س، ص 110.
- ²¹ مصطفى بيطام: م، م، س، ص 150.
- ²² ينظر: محمد ناصر: مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة، ص 59.
- ²³ نور سلمان: الأدب الجزائري بين الرفض والتحرر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982، ص 36.
- ²⁴ إبراهيم رماني: م، م، س، ص 106.
- ²⁵ مفدي زكرياء، م.م.س، ص 88.
- ²⁶ ينظر: أحمد حيدوش، نفسه، ص 122.
- ²⁷ مفدي زكرياء، م.م.س، ص 91.
- *يمثل هذا الإتجاه الشاعر المتمرد "مبارك جلواج" يقول:
"وسجن رمت بي في دجاه يد القضا على غفلة مني ولست بمحبيب
28 م، س، ص 20.
- 28 محمد بشير بويجرة: المتن الروائي-المخيال والمرجعية- في مجلة القلم، جامعة وهران، ع1، 2001، ص 20.
- 29 م، س، ص 20.
- 30 محمد بشير بويجرة: المتن الروائي-المخيال والمرجعية- في مجلة القلم، جامعة وهران، ع1، 2001، ص 20.
- 31 خالد سعيد: حركية الإبداع، دار العودة، بيروت، ط1، 1979، ص 130.
- 32 ينظر إبراهيم رماني: أسئلة المتابعة النقدية المؤسسة الوطنية للطباعة، 1992، ص 78.
- 33 مفدي زكرياء، م.م.س، ص 314.
- 34 مفدي زكرياء: م، م، س، ص 315.